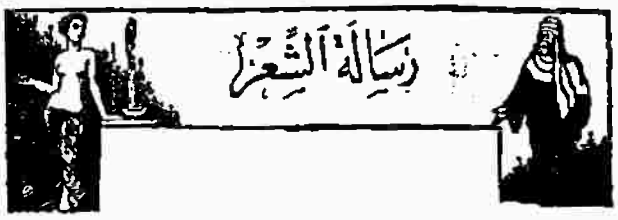

من جراح الحرب !

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

[مهداة إلى الذين نضر الله أيامهم بالغنى واليسار ، فتركوا أيام الأشقياء والبائسين سرعى على أعنابهم بلا رحمة ولا إحسان . . . ! وإلى الذين شردتهم ويلات الحرب في كل مكان . .]

عَبِيدَ الخَزَائِنِ ... طُوفُوا بِهَا ... كَطَافَ نَعَشُ الهُدَى بالصَّنَمْ !
وَأَدُّوا الصَّلاَةَ بِأَعْتَابِهَا ... عَسَاهَا لَكُمْ كَعْبَةٌ أَوْ حَرَمْ
وَبُثُّوا الكُنُوزَ حَدِيثَ الهَوَى ... لَعَلَّ شَذَا المَالِ يَرْوِي النَّهَمْ
وَقِفْتُمْ هَوَاكُمْ وَأَحْلاَمَكُمْ ... عَلَى أَخْرَسٍ سَرْمَدِيِّ البُكَمْ
لَهُ رَنَّةٌ فِي حَشَاكُمْ لَهَا ... صَدَى عَازِفٍ عَبْقَرِيِّ الرَّنَمْ
غَزَا رِقَّهُ دَهْرَكُمْ مِثْلَمَا ... غَزَا النُّورَ لَيْلٌ دَجِيُّ الظُّلَمْ
عَبَدْتُمْ جَمَادًا عَلَى وَجْهِهِ ... لِجُرْحِ النَّدَى آهَةٌ تَبْتَسِمْ
ظَلَمْتُمْ صِبَاهُ فَشَيَّبْتُمُو ... هُ كَاشَابَ فِي الدَّهْرِ مَعْنَى القِدَمْ
سَجَنْتُمْ خُطَاهُ بِأَبَّاكُمُ ... وَلُذْتُمْ بِهِ فِي زَوَايَا العَدَمْ
إِذَا امْتَدَّ ضَوْءٌ لِمِحْرَابِهِ ... ذَبَحْتُمْ خُطَا الشَّمْسِ فَوْقَ القِمَمْ
وَإِنْ رَفَّ حُلْمٌ عَلَى مَهْدِهِ ... نَسَخْتُمْ فَنَاءً لِهَذَا الحُلُمْ
سَهِرْتُمْ عَلَيْهِ كَأُمِّ الوَحِيدِ ... سَرَى اللَّيْلُ فِيهَا هَوَى يَحْتَدِمْ
قُلُوبٌ سَوَاهِدُ مِثْلُ العُيُونِ ... شَرَايِينُهَا سَاهِدَاتُ الضَّرَمْ
وَقِفْتُمْ بِهَا وَقْفَةَ الدَّيْدَبَانِ ... وَطِفْتُمْ بِهَا طَوْفَةَ المُسْتَلِمْ
عَلَى رَصَدٍ كَفَّنَتْ سِرَّهُ ... يَدٌ سِرُّهَا فِي لَجَاجِ الأَصَمْ
يُسَمُّونَهُ المَالَ وَهْوَ الَّذِي ... يُمِيلُ الحُظُوظَ وَيُمْلِي النِّعَمْ !

* * *

أَمَا جَاءَكُمْ نَبَأٌ عَنْ أَسًى ... جِرَاحَاتُ مِعْصَمِهِ تَضْطَرِمْ ؟
بَكَى الثَّغْرُ حَتَّى سَرَى دَمْعُهُ ... مَعَ الرِّيحِ رُؤْيَا لِهَيبٍ وَدَمْ
يُعَاتِبُكُمْ مَوْجُهُ فِي الضِّفَافِ ... وَلِلْمَوْجِ شِعْرٌ شَجِيُّ النَّغَمْ
إِذَا أَذَّنَ الفَجْرُ فِي أُفْقِهِ ... يُؤَذِّنُ عِزْرِيلُ فَوْقَ الأَكُمْ
فَهَوْيِ قُصُورٌ لَهَا فِي السَّمَا ... جَبِينٌ عَلَى النَّجْمِ عَالٍ أَشَمْ
وَهَوْيِ قُبُورٌ عَلَى أَرْضِهَا ... تَكَادُ مِنَ الهَوْلِ تَبْكِي الرِّمَمْ
أَلاَ مَنْ لِسَارِينَ تَحْتَ الدُّجَى ... يُسَقُّونَ مِنْ كُلِّ بُؤْسَى وَهَمْ
تُهَاجِرُ أَيَّامُهُمْ وَالطَّوَى ... بِأَحْشَائِهَا وَقْدَةٌ مِنْ ضَرَمْ
لَهُمْ سِيرَةٌ رَاحَ يَرْوِي الأَسَى ... أَسَاهَا بِدَمْعٍ كَسَيْبِ الدِّيَمْ
دِيَارُهُمُ أَقْسَمَتْ لاَ تُرَى ... قَبَرَّ الخَرَابُ لَهَا بِالْقَسَمْ
فَلَمَّا تَهَاوَتْ عَلَى أُسِّهَا ... وَدَكَّ الثَّرَى صَرْحَهَا المُنْهَدِمْ
مَشَى المَوْتُ أَعْمَى ضَرِيرَ العَصَا ... يُنَقِّلُ فِي كُلِّ عُمْرٍ قَدَمْ
تَنُوحُ بِكَفَّيْهِ زَمَّارَةٌ ... إِذَا نَامَ زَمَّارُهَا لَمْ تَنَمْ
نَمَا غَابُهَا فِي خَرَابِ البِلَى ... وَطَافَ بِهِ الشُّؤْمُ يَسْقِي الأَجَمْ
سَقَا فَرْعَهُ مِنْ صُرُوفِ الزَّمَانِ ... رَزَايَا مُشَعْشَعَةً بِالنِّقَمْ
بِأَدْغَالِهِ لاَذَ جِنُّ الفَلاَ ... وَبُومُ الدُّجَى بِذَرَاهُ اعْتَصَمْ
نَمَا غَابُهَا ... لَيْتَهُ مَا نَمَا ! ... وَلاَ مِنْ حَشَاهُ عَوَى أَيُّ فَمْ
إِذَا وَلْوَلَتْ فِي ظَلاَمِ الضِّفَافِ ... أَصَابَ البِلَى مِنْ صَدَاهَا صَمَمْ
فَلاَ صَرْخَةُ الطِّفْلِ تَلْوِي خُطَاهُ ... وَلَوْ ذَابَ فِيهَا حَشَا كُلِّ أُمْ !
مُفَاجِئَةٌ لاَ تَعِي مَا الوُعُودُ ... وَلاَ مَا العُهُودُ وَلاَ مَا الحُرَمْ ؟
إِذَا صَفَرَتْ ذَابَ قَلْبُ الضِّيَاءِ ... وَدَسَّ الدُّجَى وَجْهَهُ المُدْلَهِمْ
تَحَيَّرَتِ اللَّيْلَ مَسْرَى نِدَاهَا ... كَمَارِدَةٍ تَشْتَكِي لِلسُّدُمْ
عُوَاءُ الذِّئَابِ لَدَى نَوْحِهَا ... أَلَذُّ اسْتِمَاعًا وَأَشْجَى نَغَمْ
تُنَادِي فَيَنْشَقُّ جُرْحُ الأَثِيرِ ... عَلَى قَاذِفَاتِ الفَلَا وَالحُمَمْ
طَوَائِرُ لَمْ يَدْرِ سَاقِي الحَدِيدِ ... أَهَوْلاً سَقَى قَلْبَهَا أَمْ ضَرَمْ ؟